الحياة الاجتماعية في الهند في بعض كتب الجغرافيين والمؤرخين

أ.م.د. فينوس ميثم علي

fynwsmythm@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية ، قسم التأريخ

الملخص

تناولت الدراسة لمحة عن الحياة الاجتماعية في الهند في بعض كتب الجغرافيين والمؤرخين خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين، من خلال إبراز جوانب عديدة من حياة الملوك مثل قلة ظهورهم أمام العامة، وحرقهم بعد الممات، وعادات وتقاليد الهنود في الزواج، والطعام والملابس، ووسائل التسلية والترفيه.

وقد حاول هذا البحث إبراز صورة واضحة للحياة الاجتماعية في بلاد الهند خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين، بشكل أوسع شمولية وعمقاً من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المعاصرين لتلك الفترة، مع تحديد الفترة الزمنية التي شملها البحث بنهاية القرن الخامس الهجري.

وقد أتبع الباحث في دراسة الموضوع المنهج التاريخي والوصفي القائم على جمع المادة العلمية من مصادر أصلية مساعدة، كما يقوم المنهج التاريخي بالبحث عن أسباب الأحداث والوقائع التاريخية التي عاشتها الهند قبل وأثناء القرنين الثالث والخامس الهجريين، وأخيراً النتائج التي يتوصل إليها البحث عن هذه الأحداث والنتائج، ويقوم المنهج الوصفي على تحديد الظواهر الاجتماعية ورصدها، ومحاولة التعرف على أوضاعها الاجتماعية خلال الثالث والخامس الهجريين.

الكلمات المفتاحية: الحياة الاجتماعية، الهند، الجغرافيين، الرحالة

Social life in India in some books by geographers and historians

Asst. Prof : Venus Maytham Ali

fynwsmythm@gmail.com

Mustansiriya University, Faculty of Basic Education , Department of History

Abstract

The study dealt with a glimpse of social life in India in some books by geographers and historians during the third and fifth centuries AH، by highlighting many aspects of the lives of kings، such as their lack of appearance in front of the public، their burning after death، and the customs and traditions of Indians in marriage، food and clothing، and means of entertainment and recreation.

This research attempted to highlight a clear picture of social life in India during the third and fifth centuries AH, in a more comprehensive and in-depth manner through the books of contemporary travelers and geographers of that period, specifying the time period covered by the research at the end of the fifth century AH.

In studying the subject, the researcher followed the historical and descriptive approach based on collecting scientific material from original, auxiliary sources. The historical approach also searches for the causes of the historical events and facts that India experienced before and during the third and fifth centuries AH, and finally the results reached by the research on these events and results. The descriptive approach is based on identifying and monitoring social phenomena, and trying to identify their social conditions during the third and fifth AH.

Keywords: social life, India, geographers, travelers

المقدمة

رصد الرحالة والجغرافيون الحياة الاجتماعية في بلاد الهند خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين، وقد ورد في نصوصهم جملة من المعلومات حول هذه البلاد شملت جميع جوانبها الاجتماعية على اختلافها، وكانت الهند تمتاز بوفرة إنتاجها النباتي والحيواني

والمعدني ، ووفرة إنتاجها العلمي أيضاً ، ومع توسع حركة الفتوحات الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي في الهند والصين شرقاً، إهتم المؤرخون والرحالة المسلمون بتلك البلاد فزاروها وكتبوا عنها ، وكشفوا لنا العديد من التفاصيل الدقيقة والقيمة في تاريخ الهند ، حتى اعتبرت كتاباتهم وثائق تاريخية هامة.

الحياة الاجتماعية في بلاد الهند.

قدم الرحالة والجغرافيون المسلمون وصفاً دقيقاً عن أحوال المجتمع الهندي في مشاهد متنوعة ، يمكن تصنيفها كما يلي :-

المبحث الأول-نشأة مملكة الهند .

ذكر المسعودي أن الحكم في الهند كان وراثياً ، بحيث يبقى الملك محصوراً في بيت الملك ولا ينتقل إلى غيره ، كذلك كان قدماء الهنود يعتقدون أنهم أهل الصلاح والحكمة ، وأهل البدء إشارة إلى هبوط آدم عليه السلام في بلادهم انطلقت البشرية إلى أنحاء الأرض ، فهم أحق الناس بزعامة البشرية والسيادة على العالم ، ولا ضرر في سبيل ذلك من إبادة من يخالفهم ، أو يعاندهم لتحقيق تلك الغاية، من هنا قد نصبوا عليهم ملكاً (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 67/1) (باقر، 2011، صفحة 15/2)

كذلك ذكر المسعودي أن الهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنه ، ولا تكاد ملوكهم تظهر للعامة إلا كل برهة من الزمان معلومة ، ويكون ظهورها للنظر في أمور الرعية ، لأن في نظر العوام عندها إلى ملوكها خرقاً لهيبتها ، واستخفافاً بحقها (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 61/1)، واتفق كلاً من المسعودي واليعقوبي على أن أول ملوك الهند الذي جمعهم وعمل على توحيدهم هو البرهمن الأكبر (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 61/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 92/1)، وقد انفرد اليعقوبي بذكر أن الهنود بعد أن تفرقوا إلى ممالك مختلفة ومتناحرة تعرضوا للغزو الخارجي ، ولما كانوا أصحاب حكمة وعقل فقد أجمعوا على تمليك رجل منهم هو زارح الذي سار إلى بابل بني إسرائيل (اليعقوبي، 1883، صفحة 62/1)، وذكر المسعودي أنه لما مات البرهمن جزعت عليه الهند جزعاً شديداً ، وفزعت إلى نصب ملك عليها من أكبر ولده ، فكان ولي عهده الموصي له من ولده ابنه الباهود، واستمر حكمه إلى مائة سنة ، ثم ملك زامان بعد الباهود فكان ملكه نحواً من خمسين ومائة سنة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 62/1) (المجيدل، 2019، صفحة 167)

بينما أشار اليعقوبي إلى أن الملك انتقل بعد ذلك إلى الملك فور الذي قتله الإسكندر ذو القرنين (اليعقوبي، 1883، صفحة 96/1)، وذكر المسعودي أن الملك فور انفرد بالحكم إلى أن هلك أربعين ومائة سنه (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1)، وذكر اليعقوبي أن الملك انتقل بعد الملك فور إلى الملك كيهن وكان رجلاً حكيماً ذكياً ملكه الإسكندر بعد فور على جميع أرض الهند (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1)، بينما خالفه في الرأي المسعودي حيث ذكر أن من ملك الهند بعد الملك فور الملك دبشليم (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1)، وقال اليعقوبي أن أهل الهند تواتر عليهم الموت حتى ذهب علماؤهم وضعف الملك حتى تولى هشران الملك (اليعقوبي، 1883، صفحة 99/1)

وبين المسعودي أن الملك بلهيت هو من تولى الملك بعد الملك دبشليم ، واستمر حكمه 80 سنة ، وفي بعض النسخ أنه ملك 130 سنة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)، في حين ذكر اليعقوبي إلى الحكم بعد بلهيت إلى ابنه حسر بن بلهيت (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1)، واتفق كلاً من اليعقوبي والمسعودي إلى انتقال الحكم إلى الملك كوش (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)، أو كورش (اليعقوبي، 1883، صفحة 105/1)، الذي قام بإصلاحات عديدة واستمر حكمه مائة وعشرين سنه (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)

ووصف المسعودي أحوال الهند بعد كورش قائلاً (ولما هلك هذا الملك أختلفت الهند في آرائها ، فتحزبت الأحزاب ، وتجيلت الأجيال ، وانفرد كل رئيس بناحية ، فملك على أرض السند ملك ، وملك على أرض القنوج ملك ، وتملك على أرض قشمير ملك ، وتملك على مدينة المانكير – وهي الحوزة الكبرى – ملك يسمى بالبلهرا ، وهو أول ملك سمي من ملوكهم بالبلهرا ، فصارت سمه لمن طرأ بعده من الملوك)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 66/1)

المبحث الثاني- ملوك الهند وحياتهم .

سبق وأن ذكرنا أن كلاً من المسعودي واليعقوبي اتفقا على أن أول الملوك الذي اجتمعت عليه كلمتهم هو الملك البرهمن الذي عرف بالحكمة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 62/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 92/1)، وهو أول من تكلم في النجوم وأخذ عنه علمها ، والكتاب الأول الذي تسمية الهند (السند هند) وتفسيره دهر الدهور (اليعقوبي، 1883، صفحة 92/1)، وأضاف المسعودي أنه في أيامه ظهرت الحكمة وتقدمت العلماء واستخرجوا الحديد من المعادن ، وضربت في أيامه السيوف والخناجر ، وكثير من أنواع المقاتل ، وشيد الهياكل ، ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة ، وصور فيها الأفلاك والبروج والاثني عشر والكواكب ، وقد بالغ المسعودي في فترة حكم البرهمن حيث ذكر أن حكمه استمر ثلاثمائة سنة وستين سنة ، وأضاف إلى أن أولاده كانوا يعرفون بالبراهمة وظلوا يتمتعون بالاحترام والمكانة العالية بين الهنود حتى عصر المسعودي ، وأختلف الهنود في حقيقة البرهمن فمنهم من يرى أنه آدم عليه السلام وأنه رسول من الله تعالى إلى الهند ، ومنهم من يرى أنه كان ملكاً كباقي الملوك ، وهو الرأي الصحيح كما رجحه المسعودي (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1).

ولم يذكر اليعقوبي أحداً من خلفاء البرهمن ، فقد انتقل بالحديث عن الملك زارح الذي تولى الملك بعد الفوضى التي اجتاحت البلاد ، وظهرت الممالك المتنازعة وتعرضت الهند للغزوات الخارجية ، وقال اليعقوبي بأنه (عظيم الشأن ، جليل القدر ، عظيم ملكه ، وجل سلطانه ، حتى سار إلى أرض بابل ثم تجاوزها إلى ملوك بني إسرائيل)، (اليعقوبي، 1883، صفحة 95/1).

وذكر المسعودي واليعقوبي بعد ذلك الملك فور ، فوصفه المسعودي بأنه أعظم من ملك الهند ، وكان يحكم أكبر ممالكها وهي مملكة المانكير (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1)، واتفق معه اليعقوبي بأن الإسكندر غزا الهند في عهده ، وأنه قتل على يد الإسكندر في مبارزة فقتله الإسكندر، واستباح عسكره (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1).

وانفرد اليعقوبي بذكر الملك كيهن وذكره بأنه (كان رجلاً حكيماً ذكياً أديباً ملكه الإسكندر بعد فور على جميع أرض الهند ، وكان كيهن قد استعمل الفكر فكان أول من قال بالتوهم وأن الطبيعة تنصرف إلى تتوهمه ، فإن توهمت أنه ينفعها نفعها وإن كان ضاراً ، وكان كيهن يأكل البيش وهم السم القاتل ثم يتوهم أن على قلبه أحمال ثلج ، فلا يضره ذلك البيش)، (اليعقوبي، 1883، صفحة 97/1).

وذكر المسعودي أن الملك دبشليم هو الذي تولى الحكم بعد الملك فور وهو الواضع لكتاب (كليلة ودمنه) ، الذي ينسب لإبن المقنع ، وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 64/1).

واتفق المسعودي واليعقوبي على أن كتاب كليلة ودمنه وضع في عهده ، ولكن اليعقوبي أوضح الذي وضع الكتاب هو أحد حكماء الهند وأسمه بيديا ، وليس الملك دبشليم كما ذكر المسعودي (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 100/1).

وذكر اليعقوبي الملك بلهيت الذي وصفه بأنه صاحب عقل ومعرفة (اليعقوبي، 1883، صفحة 100/1)، وتابعة المسعودي بذكر أنه هو من وضع الشطرنج ورتب لذلك كتاباً للهند يعرف بطرق جنكا يتداولونه بينهم (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1)، وانفرد اليعقوبي بذكر معنى الشطرنج بالفارسية وهو هشت رنج ، وهشت ثمانية ورنج صفح ، وصيرها ثمانية في ثمانية فصارت أربعة وستين بيتاً وصيرها أثنين وثلاثين كلباً مقسومة بين لونين كل لون ستة عشر كلباً وقسم الستة عشر على ست صور فالشاة صورة والغرز صور والغيلان صورة وهكذا ، أما قصة وضعها فإنه لما كان الملك بلهيت لا يعتقد بالقول الشائع في حينة بأن الكواكب هي التي تدبر أمور الكون فقد سأل عن رجل عالم على دين البرهمية ، ثم شكاله الحالة الفكرية التي وصل الناس إليها فوضع له الحكيم الشطرنج (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1)، واتفق كلاً من المسعودي واليعقوبي على أن بلهيت كان يلعب الشطرنج مع الحكماء (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1).

ومن ملوك الهند أيضاً ملك كوشن أو كورشن الذي ذكر اليعقوبي عنه أنه وجد في خزانه هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والعلاجات ، واتفق معه المسعودي في أن سندباد الحكيم عاش في عصر هذا الملك (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 65/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 102/1).

بينما انفرد اليعقوبي بذكر بعض الكتب التي ألفها السندباد للملك كوش منها كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأه الملك وهو المترجم بالسندباد ، كذلك ألف كوشن كتاب مكر النساء (اليعقوبي، 1883، صفحة 105/1).

وذكر كلاً من المسعودي اليعقوبي أن لقب ملك الهند هو البلهرا، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 66/1) (اليعقوبي، 1883، صفحة 77/1).وذكر المسعودي منفرداً ألقاباً خاصة لكل ملك من ممالك الهند المختلفة فلقب ملك (القنوج) ، هو بؤورة ، وملك القندهار حجج ، وملك قشمير الراني (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 68/1).

وذكر المسعودي أن ملك جزيرة خاقة يلبس الثياب المذهبة ، وعلى رأسه قلنسوة من ذهب مكللة بالجواهر (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 65/1)، وتزين ملوك السند والهند تيجانها وأكاليلها وخواتمها وأسورتها بالزمرد البحري (خرداذبه، 1889، صفحة 67)، ويرتدي ملك رهمى الثياب القطنية (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 20/2)، ويضع الملك في أعناقهم القلائد النفيسة التي تحتوي على اللؤلؤ والجوهر وفي آذانهم الأقراط المصنوعة من الجوهر النفيس ، ويتشبه ملوك المائد بالنساء فيلبسون الحلى والجواهر الفاخرة والأسورة والقلائد (السيرافي، 1999، صفحة 93).

وذكر المسعودي أن من عادات أهل الهند إحراق ملوكهم الموتى وذكر حادثة شاهدها بنفسه في جزيرة سرنديب ، فإذا مات الملك صير على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى ، وشعره ينجر على الأرض ، وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه ، وتنادى (أيها الناس ، هذا ملككم بالأمس قد ملككم وجاز فيكم حكمه ، وقد صار أمره إلى ما ترون من ترك الدنيا ، وقبض روحه ملك الموت ، والحي القديم الذي لا يموت في تغتروا بالحياه بعده ، ثم يطاف به في جميع شوارع المدينة ، ثم يفصل أربع قطع ، وقد هيأ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب ، فيحرق بالنار ، ويذر رماده في الرياح ، وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم ، لغرض يذكرونه)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 67/1).

وأشار البيروني أن زوجه الملك الميت أنها تحرق شاءت أم أبت معللاً ذلك بقوله (احتراساً من زلة تبدر منهن ، بينما تترك الزوجة العجوز ولا تحرق ، وإذا كان لديها أولاد يشترط على الابن الأكبر أن يتكفل بصيانتها وحفظها)، (البيروني، 1958، صفحة 429)، بينما ذكر السيرافي إن نساء الملك يخيرن فإن شئن احترقن معه وإن شئن لم يفعلن (السيرافي، 1999، صفحة 46).

وقد انقسمت بلاد الهند بين عدد من الممالك الهندية، بعضها يقع في الشمال والجنوب والبعض الآخر في الجزر المجاورة ، وقد تمكن الجغرافيون والرحالة من تحديد مواقعها ويمكن عرض أهمها:-

1-مملكة الكمكن (البلهرا).

تقع مملكة الكمكن على الساحل، ومن أهم مدنها الساحلية صيمور وسوبارة وتانة وكمباي وغيرها، وعاصمتها تُعرف بـ" المانكير"، وهي مدينة داخلية تقع على بعد ثمانين فرسخا من البحر في منطقة جبلية، ويتكون معظم جيشها من المشاة نظرا لموقعها في الجبل وفيها فيلة لا تدرك كثرتها، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

وهي أشهر الممالك الهندية لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين وملكها من أعظم ملوك الهند على حد قولهم، ويُعرف بـ" البلهرا" أو " البلهرى" ، وهو لقب يُعرف به كل ملك يحكم بلاد الكمكن أو الكمكم، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

واتفق ابن خرداذبة والمسعودي على أن بلهرا هو أعظم ملوك بلاد الهند وأن هؤلاء يقرون له بالولاء- على انقسامهم- لشرف السلالة وقوة مملكته لذلك كانوا يتقدمون إليه بالرسل والهدايا ويتوجهون إليه في صلاتهم (خرداذبه، 1889، صفحة 65)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

وذكر ابن حوقل ان مملكة الكمكن تمتد من كمباية على حدود السند في الشمال إلى صيمور جنوبا وأن صاحبها البلهرا كان مولعا بالأمثال وجمعها في كتاب خاص، وأن أكثر سكان هذه المنطقة من الكفار، غير أن فيها كثير من المسلمين، وجرت العادة أن لا يلبي أمورهم إلا مسلم يختارونه ثم يعرضونه على البلهرا، وأشار ابن حوقل إلى أن هذه الامتيازات التي تمتع بها المسلمون في كل الأطراف التي يغلب عليها غير المسلمين وذلك مثل بلاد الخزر والسرير واللان وغيرها، (حوقل، 1938، صفحة 320).

وذكر المسعودي أنه كان يسكن مملكة الكمكن في سنة 304هـ/ 917م نحو عشرة آلاف من المسلمين قاطنين بها منهم السيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين والبياسرة الذين يراد بهم من ولد من المسلمين بأرض الهند (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 98/1)، وكان حاكمها يهتم اهتماما كبيرا بمناظرة من يرد على بلدة من المسلمين وحتى من غيرهم من أهل الملل المختلفة (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 136/1).

2-مملكة الطافن.

تتحدث مصادر الجغرافيا الاسلامية عن هذه المملكة بوصفها أبرز ممالك بلاد الهند وقد وردت تسميتها على نحو مختلف فهي :" الطافق" عند سليمان التاجر و"الطافن" عند ابن خرداذبة و"الطاقي" عند المسعودي .

وهي من الممالك الصغيرة المجاورة لبلاد التلهرا ومملكة الجزر كوجارات وكانت تربطها علاقات طيبة بباقي الممالك وملكها موادع لهم، كما عُرفت بحسن معاملتها للمسلمين، وكان عدد جيشها قليل لذلك حرصت على علاقاتها الحسنة مع باقي الممالك، وتوصف بجمال نسائها وبياضهن ويعتبرن أجمل نساء بلاد الهند، (خرداذبه، 1889، صفحة 65)، (التاجر، 1992، صفحة 29)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 203/1).

3-مملكة قمار (خمير).

تقع على طرف الأرض وليست بجزيرة وفيها جبال، ذات سكانية عالية، وهي مجاورة لمملكة المهراج وجزيرته المعروفة بالزابج (جاوة)، وبينهما مسافة عشرة أيام إلى عشرين يوما حسب هبوب الرياح وأكثر أهلها رحالة وتجار، يتاجرون بأفخر أنواع الطيب وينسب إلى بلادهم وهو العود القماري الذي كان يحمل إلى البلاد العربية، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

وذكر ابن خرداذبة أن المسافة بينها وبين بلاد الصنف كما "Champas" المجاورة لها مسيرة ثلاثة أيام على الساحل، وأنها بلاد يجلب منها نوع من أنواع العود الذي يعرف بالعود القماري، إلا أن عود بلاد الصنف المجاورة لها أجود منه، كما يجلب منها الأرز (خرداذبه، 1889، صفحة 94).

بينما ذكر أن أبا زيد السيرافي أنها تقع بالقرب من إمبراطورية الزابج (جاوة) وذكر أن ملوكها كانوا يعينون من قبل ملك الزابج المعروف بالمهراج مما يدل على أنها في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي تابعة لسلطة مملكة جاوة البحرية (السيرافي، 1999، صفحة 94).

وذكر المسعودي أن أهلها يتميزون بطيب رائحة أفواههم لاستعمالهم السواك، مثل المسلمين كما يحرمون الزنا ، ويعاقبون فاعلها ويجتنبون القاذورات والأنبذة والخمر، وكان أكثر أهل هذه المملكة لا يعتمدون على الدواب في تنقلاتهم لكثرة الجبال في بلادهم فهم يعتمدون المشي (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 94/1).

4-مملكة قنوج.

تقع ضمن المملكة الهندية " الجزر" المعروفة في حدود منطقة كوجارات "Gujarat" شبة الجزيرة الواقعة على الساحل الغربي للهند، ويشتهر أهلها من بين الهنود بأن فيهم أهل علمهم البراهمة وشعراء كبار يغشون الملوك ومنجمون وفلاسفة وكهان وسحرة يبدعون في التخابيل، (السيرافي، 1999، صفحة 127).

وذكر المسعودي أن هذه المملكة كانت تمتد إلى حدود المولتان بأراضي السند وشمالا إلى الكشمير" فهي نحو من عشرين ومائة فرسخ في مثلها" فيها من المدن والقرى الكثير من الضياع بين أشجار وأنهار وجبال ومروج، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 198/1).

بينما ذكر ابن حوقل بأنها تمتد من حدود السند إلى حدود بلاد التبت وأن عاصمة الملك قنوج تقع في الناحية الشرقية وهي إلى بلاد التبت أقرب، كما وصفها بالسحيقة والنائية في منتصف الغابات والصحاري ولا يمكن أن يصلها التجار إلا من أهلها، (حوقل، 1938، صفحة 318).

ومع بداية القرن الخامس الهجري ذكر البيروني المدينة بموقعها وحدودها وذلك لدخولها تحت حكم الدولة الغزنوية، عندما فتحها السلطان محمود بن سبكتكين عام 410هـ/ 1019م، فذكر أنها تُعرف بقنوج، كما تعرف بمدديش أي واسطة الممالك بلغة أهل الهند

وذلك لتوسطها بين البحر المحيط (خليج البنغال) ومنطقة جبال الهيمالايا، كما تُدعى أيضاً أريافرت وتقع غرب نهر الغانج، وكانت عاصمة عظمائهم الجبابرة " الفراعنة" وأشار البيروني أنها بعد ذلك قد أصبحت مدينة خربة ومهجورة من أهلها، (البيروني، 1958، صفحة 97).

وهي مدينة كبيرة وهي مقر راي قنوج، وهو ملك عظيم يطيعه أغلب ملوك الهند، وراي هذا لا يرى أحد أعظم منه، ويقال إن له مائة وخمسين ألف فارس وثمانمائة فيل يقاتل عليها عند الحرب، (مجهول، 1999، صفحة 56).

وذكر المقدسي الذي زار نواحي السند أنها من أهم مدنه في القصبة ولها رياض ومياه غزيرة واسعة ومتجر ربيح "موز رخيص أكلهم الأرز ولبساهم الأزر"، (المقدسي، 2003، صفحة 408).

5- مملكة الزابج (جاوة).

تقع على يمين بلاد الهند ، وهي عبارة عن مجموعة من الجزر الواسعة الصغيرة ، يحكمها ملك يُدعى المهراج، ويلبس أهلها الفوط، منهم الغني والفقيرة ، ومن أهم جزرها جزيرة سربزة أو سريرة (سوطمرة) ، جزيرة "كله" " برزج كرا" الواقعة على الساحل الغربي بماليزيا، وقد كان التجار المسلمين خاصة منهم العمانيون يتردوون على هذه المملكة ويجلبون من جزرها المذكورة خشب البقم والكافور والعاج والصندل والرصاص القلعي والآبنوس، (التاجر، 1992، صفحة 19)، (السيرافي، 1999، الصفحات 89-90).

وذكر ابن خرداذبة ان في جبال الزابج حيات عظام تبلع الرجل والجاموس ومنها ما يبتلع الفيل، بها شجر الكافور تظل الشجرة مائة إنسان وأكثر وأقل ينقب أعلى الشجرة فيسيل منها من ماء الكافور عدة جرار، ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فينساب منها قطع الكافور وهو صمغ ذلك الشجر غير أنه داخله ثم تبطل تلك الشجرة فتجف، وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة لا تحصى (خرداذبه، 1889، صفحة 40).

وذكر المسعودي بأن بها جزيرة تتميز بخصوبة كبيرة وتقع على خليج عظيم وهو أكبر خلجان الزابج ، وتُعرف هذه المنطقة ظاهرة المد والجزر، ويقع قصر المهراج على ضفة غديرة صغير متصل بهذا الخليج، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1) ، وتحتوي هذه البلاد على قرى كثيرة ومتصلة بصفة منظمة ويصف الرحالة جمال عمارتها وانتظام مبانيها، وسهولة انتقال مدنها وقراها حيث تتوافر فيها (مراكب) وعربات خاصة تيسر ذلك (السيرافي، 1999، صفحة 90).

وذكر البيروني موقع جزائر الزابج، فقال أنها الجزائر الشرقية في بحر الهند، وهي القريبة من حدود الصين، ويسميها أهل الهند "سورن ديب" أي " جزائر الدهب"، وفي موضع آخر ذكر البيروني أن جزائر الزابج تسمى " أرض الذهب"، لأن الذهب الكثير يرسب في غسالة التراب فيمكن استخراج كمية كبيرة من الذهب من كمية قليلة من التراب (البيروني، 1958، صفحة 103).

ومن أهم منتجاتها التي كانت تجلب إلى البلاد العربية ، معدن الرصاص القلعي، وخشب القنا(الخيزران)، والكافور من بالوس (سومطرة)إلى جانب النارجيل (جوز الهند) والموز وقصب السكر، والقرنفل ، كما تجلب من جاوة أفخر الثياب القطنية (خرداذبه، 1889، صفحة 41).

ويوجد بهذه المملكة غدير ويُعرف بـ " غدير لبن الذهب"، ومن عادات ملوك هذه المملكة أنه في صباح كل يوم يأتي الفهرمان (الخادم) إلى الملك بسبيكة من ذهب ويطرحها في غدير القصر المتصل بالخليج الكبير، فإذا كان المد، غمرتها المياه وإذا كان الجزر وتراجعت عنها المياه وظهرت ولمعت تحت الشمس، أمام أنظار الملك ويستمر هذا العمل طيلة حياته وعند موته تخرج كلها وتحصى ثم تذاب وتفرق على أهل بيت المملكة رجالهم ونساءهم وقوادهم وخدمهم على حسب مراتبهم، وما تبقى منه يوزع على المساكين، وقيل أن أهل هذه المملكة يفتخرون بملوكهم الذين يعمرون طويلا وذلك لحصولهم على أكبر قدر من الذهب، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 97/1).

ومن آداب الملوك في هذه المملكة أن لا يجلس بين أيديهم سواء من أهل مملكته أو الممالك الأخرى وحتى من المسلمين، إلا مربعاً ويسمى عندهم " البرسيلا" ومن يمد رجليه أو يجلس غير تلك القعدة فعليه دفع غرامة كبيرة حسب وضعه الاجتماعي (السيرافي، 1999، صفحة 154).

6- مملكة سرنديب " سيريلانكا".

ذكر ابن خرداذبة أن مساحتها ثمانون فرسخا مربعا، فهي شاسعة ومشهورة الذكر، (خرداذبه، 1889، صفحة 62)، وتحتوي سرنديب على الماس والبلور وغيرها من النفائس، كما يجلب منها انواع من الطيب كالعود والمسك، " فلهم فيها دواب تحمل المسك"، فضلا عن شجر جوز الهند والأرز وقصب السكر وغيرها من الصادرات الهندية التي تتميز بها سرنديب (خرداذبه، 1889، صفحة 62)

ويجلب من جبالها كافة الأنواع الثمينة للجواهر" الأحمر – الأخضر – الأصفر"، ويتم استخراج هذه الجواهر من قلب الجبال بفعل المياه التي تدحرجها من الكهوف والمغارات ومسايل المياه، غير ان على هذه المخارج حراسة خاصة باسم ملك هذه البلاد، وأكثر الأوقات التي تظهر فيها هي فترات مد البحر، كما يستخرج من جبالها انواعا من الأحجار انواعا من الأحجار الثمينة، مثلما تستخرج المعادن من المناجم، فينقي الجوهر الملتصق بالشوائب المختلفة، (السيرافي، 1999، صفحة 68).

وقد وصف الرحالة الجغرافي الادريسي هذه الجزيرة في الجزء التاسع من الإقليم الأول، وأبرز أهميتها السياسية والاقتصادية، فهي من أقوى الممالك الهندية لتمتعها بخيرات ثمينة فليس في بلاد الهند من هو أغنى من ملك سرنديب، وهو يتصف بالفطنة ويتحرى العدل والإنصاف والاهتمام بتفقد أمور رعيته، وله ستة عشر وزيرا، اختارهم من كافة الملل التي تنشط في المملكة، أربعة منهم من ملته، وأربعة نصارى وأربعة مسلمين وأربعة يهود وكلهم يمارسون نشاطاتهم التجارية والدينية بحرية، ويهتمون بحل كل ما يعترضهم من مشاكل أو منازعات التي تواجه فئاتهم المختلفة واكل ملة منهم مقر خاص بها تجتمع فيه، وأضاف الادريسي أن هذه الجزيرة من أغنى الجزر الهندية لما تحتويه من الدر النفيس كالياقوت الجليل والماس وكافة أنواع الأحجار الكريمة الموجودة بكثرة في جبالها وفي أوديتها وبحرها، كما يسعى التجار المسلمون إليها كغيرهم لجلب الحرير وأنواع كثيرة من العطور، ومما زاد من أهميتها الاقتصادية المذكورة هو وقوعها في مجرى تجاري حيوي هو المعبر الصغير (خليج المنار)، حيث تمر بين هذه الجزيرة والساحل الهندي المراكب السيارة مدة شهر إلى شهرين، من المراكب الصينية والاسلامية وسائر الممالك الهندية المجاورة، فكانت بمثابة ملتقى لكافة تجار العالم حينها، فشهدت هذه المملكة ازدهارا تجاريا منقطع النظير، (الإدريسي، 2002، الصفحات 74-75).

والجدير بالذكر أن الثروة التي اشتهرت بها سرنديب في القرن الثالث والرابع الهجري، لم تبق على نفس الوتيرة، فذكر البيروني أن مغاص اللؤلؤ الذي اشتهرت به سرنديب فيما مضى من الزمن بط في زمنه، وانتقلت الشهرة إلى بلاد الزنج (أفريقيا الشرقية) التي أصبحت تضم أشهر مغاص في القرن الخامس الهجري، (البيروني، 1958، صفحة 103).

وتضم سرنديب العديد من الأجناس والملل ، وكان الملك متسامحا مع كل فريق منهم، ويسمح لهم بممارسة مختلف شرائع دياناتهم حتى الثانوية (السيرافي، 1999، الصفحات 122-123).

فلم تكن مملكة سرنديب ذات أهمية اقتصادية فقط بل كانت لها أهمية دينية خاصة لدى البوذيين، ففي هذه الجزيرة علماء ومشايخ لهم مجالس علمية خاصة، يجتمعون فيها بطلاب العلم وينقلون إليهم علومهم وشرائعهم وسير أنبيائهم، وبها صنم عظيم لمعبودهم البوذا، صنع من الذهب الخالص (خرداذبه، 1889، صفحة 63)،وبها جبل الرهون، حيث يعبر البراهيميون عباد الهند أن عليه هبط آدم عليه السلام وأثر قدميه في رأس هذا الجبل مغموس في الحجر وهي نحو سبعين ذراعا قدم واحدة، كما يقولون أن أدم خطى الخطوة التالية في البحر (السيرافي، 1999، صفحة 129)؛ (السيد، 1992، صفحة 45)

المبحث الثالث- طبقات المجتمع الهندي .

انفرد المسعودي والبيروني في تناول المجتمع الهندي .

كان النظام الطبقي موجوداً في الهند منذ نشأتها كطبيعة لتوزيع الأعمال على الناس في المجتمع ، واختلاف الحرف فهناك من يعمل في الزرعة ، ومنهم من يتفرغ للحرب ، وهناك فئة تختص بالطقوس الدينية ، وقد خشيت تلك الفئة على امتيازاتها ومصالحها من اختلاط بني جنسها الآرابيين بالعناصر الأخرى وضعت نظام الطبقات وجعلت نفسها على رأسه (الساداتي، د.ت، الصفحات 18/1-21).

ذكر البيروني أن ملوك الهند القدماء كانوا يهتمون بتصنيف الناس طبقات ومراتب يحفظونها عن التمازج ويحظرون الاختلاط عليهم بسببها ، ويلزمون كل طبقة ما إليها من عمل أو صناعة أو حرفة ولا يرخصون لأحد في تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف

بطبقته ، وهم يسمون طبقاتهم (برن) ، أي الألوان ويسمونها من جهة النسب (حاتك) أي المواليده ، وهذه الطبقات في أول الأمر أربع أعلاها البراهمة ، وقد ذكروا أن خلقتهم من رأس براهم وهو كناية عن القوة المسماة طبيعة ، والرأس علاوة الحيوان ، فالبراهمة نقاوة الجنس ، ولذلك صاروا عندهم خيرة الأنس، (البيروني، 1958، صفحة 76)، بينما أكتفى المسعودي بذكر أن البراهمة أنهم أبناء برهمن إمام الهنود وملكهم الأعظم مؤسس لمملكة قوية تعتد بالعلم والحكمة والقوة العسكرية، ويذكر ان فترة حكمه امتدت ثلاثمائة سنة وستة وستين، وتوارث أبناءه حكم الهند والكل يعظمهم فهم أعلى أجناسهم وحكمائهم، من شرائعهم أنهم لا يتغذون بشيء من الحيوان ، وفي رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف ، فرقاً بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 62).

ومن هذه الأسرة ينحدر كل ملوك الهند المعروفون " البلهرا " والذين تسجد لهم الفئات الهندية تعظيما وإجلالا، بينما لا يسجدون لباقي الفئات، وهم لا يشربون الخمر، (خرداذبه، 1889، صفحة 71)، وذكر البيروني أن البرهمن وافر العقل ساكن القلب ، صادق اللهجة ، ظاهر الاحتمال ، ضابطاً للحواس ، مؤثراً للعدل ، بادي النظافة ، مقبلاً على العبادة ، مصروف الهمة إلى الديانة (البيروني، 1958، صفحة 78).

كذلك ذكر الإدريسي أن الساكهرية هم أشراف الهند والملك يكون فيهم ولا يكون في غيرهم وجميع الأجناس يسجدون لهم عند اللقاء وهم لا يسجدون لأحد (الإدريسي، 2002، صفحة 96/1)، وأوضح البيروني أن الطبقة التي تتلوا هي كشتر ، وقيل أنهم خلقوا من مناكب براهم ويدية ودرجتهم قريبة من درجة البراهمة ، ومن صفات كشتر أنه مهيباً في القلوب شجاعاً ، متعظماً ، ذلق اللسان ، سمح اليد غير مبال بالشدائد حريصاً على تيسير الخطوب (البيروني، 1958، صفحة 77).

وتليهم بيش وقد خلقوا من رجلي براهم وهي إلا أن بعضهم منبوذ ويعمل في المهن الحقيرة كصيد السمك والطيور والوحوش والإسكافة ، والحياكة ، وهؤلاء يسكنون في مناطق خارج المدن والقرى ، ويشتغل البيش بالفلاحة واقتناء السوائم والتجارة (البيروني، 1958، صفحة 78)، وأختتم البيروني حديثة بالطبقة الرابعة وهي شودر وهي بقية المجتمع وتتكون من عدة فئات هي هادي ودرم وجندال وبدهنو فليسوا معدودين في شيء وإنما يشتغلون برذالات الأعمال من تنظيف القرى وخدمتها ، وكلهم جنس واحد يتميزون بالعمل فقط ، ويعتقد الهنود أنهم يرجعون إلى أب شودر وأم برهمن خرجوا منهما بالسفاح فهم منفيون منحطون ، والشودر مجتهداً في الخدمة والتملق متحبباً إلى كل أحد بها ، كذلك بين البيروني أن الشورد هم عبيد البراهمة ولغيرهم من الطبقات ، ويتصرفون بهم في العمل (البيروني، 1958، صفحة 78).

وقد تناول البيروني النظام الإجتماعي (الطبقي) في بعض الجزائر الهندية المسماه بالديبات فذكر أن في جزيرة شاك ديب أربع طبقات أعلاها أرجل ، وتليها كرر ، ثم ببنش ، وأدناها بها نشجت ، وهم منفصلون عن بعضهم ، لا يتزاوجون من غير طبقتهم ولا يختلطون مع غيرهم ، وفي جزيرة كش ثلاث طبقات هي دمن وششن وسين ومندية ، ولم يذكر ترتيب تلك الطبقات ، وفي جزيرة كرونج عدة طبقات وهي بُشكر ، بُشكل ، دهن ، تشاكه ، ولا يتمايزون عن بعضهم ويعيشون معاً (البيروني، 1958، صفحة 187).

المبحث الرابع – العادات والتقاليد .

لكل شعب من الشعوب عادات وتقاليد تتعلق بها وتختلف عن غيرها من الشعوب ،وقد نشأت هذه العادات وفقاً للعوامل الجغرافية والحالات الاجتماعية وظروفها المذهبية ومفاهيمها الأخلاقية فيما يلى سنعرض بعض عادات وتقاليد الهند .

كان الهنود من عاداتهم أن يرشون المريض بالماء ليتعافى، ويقومون بإطالة أظافرهم إشارة إلى عدم العمل والبطامة ، وأحياناً يستخدمونها في حك شعر الرأس ، ويقومون بغسل أرجلهم قبل وجوههم، ومن عادات الهنود أيضاً أنهم يصبغون أسنانهم بالأحمر عن طريق مضغ ورق التنبول، وينفرون من الشخص صاحب الأسنان البيضاء (البيروني، 1958، الصفحات 90-129)، وذكر المسعودى خضب الهنود وشعورهم بالخضاب الأسود المعروف بالهندى ويستمر مفعوله لمدة سنة كاملة، وذكر أن الخليفة هشام بن عبد الملك (ت125هـ|743م) كان يخضب شعره بذلك الخضاب، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 241/1)، وفى مملكة الكامن يقومون بتخريم الآذان (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 164/1)، وفى جزيرة الرابخ يخرمون الأنوف (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 64)، كذلك من عادات الهنود أنهم يتيمنون بالظراط

ويتشاءمون بالعطس (البيروني، 1958، صفحة 130) (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 165/1)، كما أنهم لا يهتمون بحبس الريح وإنما يعتبرونه داء، (البيروني، 1958، صفحة 130).

ومن عادات الهنود الاهتمام بالزينة عند الرجال فيلبسون الأساور والخواتم المصنوعة من الذهب في أصابع الأرجل والبنصر (البيروني، 1958، صفحة 130).

الأطعمة والألبسة

أما عن العادات الهندية في الأطعمة فهم يشبهون المسلمين حسب وصف سليمان التاجر في حرصهم على النظافة قبل الأكل، فذكر أن أهل الهند لا يأكلون حتى يستاكون وينظفون أفواههم ويغتسلون كل يوم قبل الغد وأضاف أن أكثر غذائهم قائم على الأرز والنارجيل (جوز الهند)، (التاجر، 1992، صفحة 56).

وذكر البيروني المحظور والمباح من الأطعمة عند الهنود ، أما المباحات من الأطعمة الضأن والمعز والظباء والأرانب ووحيد القرن والجاموس والسمك والطيور المائية والبرية كالعصافير ، والحمام والطاووس ومن المحظورات لحم الأبقار والخيول والبغال والحمير والجمال والفيلة ، والطيور كالدجاج الأهلية والغربان والببغاء وبيضها جميعاً، (البيروني، 1958، صفحة 467)، وذكر البيروني سبب تحريم الهنود لحوم الأبقار لضعف أبدانهم على هضمها ، فيقومون بأكل أوراق التنبول عقب الطعام ومضغ الفوفل ، ليساعدهم على الهضم ، ومن ناحية أخرى فإن البقر هي الحيوان الذي يخدم في الأسفار ينقل الأحمال والأثقال ، وفي الفلاحة بالكرب والزراعة والألبان، كذلك يحرم الهنود اللحوم الميتة وبالأخص إذا ماتت رغم أنفها ، ولكن الإماتة بإمساك النفس فأكلها مباح عندهم (البيروني، 1958، صفحة 468).

وذكرت المصادر الإسلامية أن أهل الهند لا يشربون الخمر، ولا يأكلون الخل لأنه من الشراب (خرداذبه، 1889، صفحة 68)، ويذكر ابن رستة أن تجار الهند الذين تعرف إليهم لا يشربون الشراب قليلة أو كثيرة ويعافون الخل من الأشربة، وقيل أن ملك قمار Khemer(كمبوديا)، كان أكثر الملوك تشددا مع شاربي الخمر، ويوصف بأنه أشد ملوك الهند غيرة وعقوبة، فإذا حدث وأن قام أحد قواده بشرب الخمر تحمى حلقة من حديد في النار ثم توضع على يد المذنب قد تؤدي إلى مقتله، ومن أنواع العقوبات الأخرى قطع اليدين والرجلين والأنف والشفتين والأذنين (رستة، 1891، صفحة 132).

وتناول البيروني عادات الهنود في الطعام فهو يتناولون الطعام فرادى كما أنهم لا يعودون إلى الطعام الزائد ويستخدمون الأواني الخزفية في الطعام ثم يرمونها ، وكان الطعام الرئيسي لسكان جزيرة ديب هو قصب السكر (البيروني، 1958، صفحة 185) ، وذكر السيرافي في رحلته أن الهنود لا يأكلون حتى يستاكون ويغتسلون وهم لا يأكلون الحنطة (السيرافي، 1999، الصفحات 30-31).

وذكر المسعودي أن الهنود تمنع من شرب الشراب ، ويعنفون شاربه ليس من باب التدين ، ولكن حتى لا تذهب عقولهم ، وإذا شرب ملك من ملوكهم شربة استحق الخلع من ملكه ، وإذا تبين أنه أثر على الملك في إدارته لأمور الرعية، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 67)، بينما خالفه البيروني في ذلك حيث ذكر أن الهنود يشربون الخمر أولاً ثم يقومون بتناول الطعام بعد ذلك، (البيروني، 1958، صفحة 229).

الألبسة

ومن ملامح المجتمع الهندي – حسب وصف المصادر الإسلامية _ أن أهل الهند عامة يلبسون فوطتين ويتحلون بأساور الذهب والجوهر الرجال منهم والنساء، (وايرل، 1998، صفحة 166/3)، وكانت طبقة الراجا (الملوك) يتحلون بقدر كبير من الحلى، ويلبسون في أيديهم أساور الذهب المرصعة بالجواهر، كما يضعون في أعناقهم القلائد النفيسة المشتملة على أفخر الجواهر الأحمر والأخضر واللؤلؤ، كما كانوا يلبسون في آذانهم الأقراط من الجوهر النفيس المركب بالذهب فهي بمثابة كنوز وذخائر لديهم ومن مناظر الآبهة ، أما القادة ووجهاء المجتمع الهند فكانوا يرتدون عند خروجهم الحلى الثمينة، لكنها أقل درجة من الملوك، وجميهم يحملون على محامل خاصة يلبسون الفوط ويحملون في أيديهم شيئاً يُعرف بـ" الجترة" وهي مظلة مصنوعة من ريش الطواويس لتقيهم من حر وأشعة الشمس وهم محاطون بخدمهم، (التاجر، 1992، صفحة 59).

وقدم الاصطخري وصفا لملابس أهل الهند حيث يذكر أن زي أهل الهند من المسلمين والكفار أي "الهندوس" واحد، ويتمثل في الفوط والآزر لشدة الحر ببلدانهم كما يتزينون القراطق ويرسلون شعورهم، وتعتبر فئة التجار من الفئة المتميزة بلباسها فهم يلبسون الأقمصة والأردية، وهو زي أهل العراق وفارس (الاصطخري، د.ت، الصفحات 172-173)

ذكر المسعودي أن لباس مملكة الموجة أبيض اللون ، شبيه بلباس أهل الصين، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 165/1)، ويصنع لباس وادي القرنفل من أوراق بعض الأشجار التي تنمو في بلادهم (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 52).

وذكر البيروني أن عامة الناس في الهند يرتدون السروايل والبعض الآخر يرتدي سراويل داخلها محشو بالقطن بشكل كثيف ، وتكون محكمة الأغلاق ، ولا يظهر منها سوى القدمان ، ثم يلفون صدورهم بسروال آخر ، ويرتدون في أقدامهم الخفاف، (البيروني، 1958، صفحة 129).

الأعياد

انفرد البيروني بذكر أعياد الهند ، فذكر أن العيد عندهم يسمى زائر وأكثر الأعياد تكون للنساء والوالدان ، ومن أعيادهم :- عيد كشمير يسمى (أكدوس) في اليوم الثاني من شهر جيتر (كانون الثاني) ، وسببه فور ملكها مُتي بالترك وعندهم أنه يملك العالم كله ، وفي اليوم الحادي عشر من شهر جيتر (كانون الثاني) ، يكون عيد (هندولي جيتر) يجتمعون فيه على صنم باسديو ، ويؤرجحون صنمه ، كما كان يفعل به في الأرجوحة وهو صبي ، ويفعلونه في بيوتهم طول النهار ويفرحون ، وبعده عيد (بهند) وهو عيد مخصص للنساء حيث يتزين ويقدمن لأزواجهن الهدايا ، وعيد (كورتر) ، وهو في اليوم الثالث من شهر ببشاك (شباط) ، يغتسلن فيه النساء ويتزين ويسجدن لصنمها ، ويقربن له الطيب ولا يأكلن شيئاً ويتلاعبن بالأرجوحة ، ثم (البيروني، 1958، صفحة 487).

وذكر البيروني أيضاً عيد الربيع الذي يسمى (بسنت) في شهر ببشاك (شباط) ، الذي يقدمون فيه الضيافة للبراهمة ، وفي الثالث عشر من شهر (بهادريت) (حزيران) عيد للنساء يسمى هربالي يضعن فيه النساء الورود والطيب على بعض النباتات ، ويقضين الليل في مرح وسرور ثم يغتسلن ، ويقدمن الصدقات في اليوم التالي ، وفي اليوم السادس عشر من شهر بهادريت (حزيران) ، يقدمن الطعام فيه ، واليوم الثامن لهم عيد آخر يسمى (دروب هر) يغتسلون فيه ويتناولون الحبوبة المنبوتة ليسلم أولادهم ، ويقدمن النساء أمانيهم لطلب الأولاد (البيروني، 1958، صفحة 488).

وفي الحادي عشر من نفس الشهر عيد يسمى (بربت) وهو عيد ديني معظم لدى الهنود ، ومنذ اليوم السادس عشر ولمدة أسبوع يطلقون على تلك الأيام اسم (كراراة) يزينون فيها الأطفال ويعطرونهم ، ويلعبون بأنواع الحيوانات ، وفي نهاية الأسبوع يتزين الرجال أيضاً ، والباقي من الشهر يزينون الأطفال مرة أخرى ، ثم يقومون بتقديم الصدقة إلى البراهمة ويفعلون الخير (البيروني، 1958، صفحة 489).

وفي اليوم الأول من شهر كارتك (شهرآب) لهم عيد يسمى (دبالي) يغتسلون فيه ويأخذون الزينة ويتهادون بأوراق التنبول وبالفوفل ، ويتصدقون ويتلاعبون فرحين حتى نصف النهار ، وفي الليل يكثرون من إيقاد المصابيح في كل موضع حتى يستنير الهواء ((البيروني، 1958، صفحة 490)، وعندهم عيد يسمى (ماهريتج) وهو عيد للنساء ويعرف أيضاً باسم كور في اليوم الثالث من شهر (ماك) ، (تشرين الثاني) ، وتجتمع فيه النساء عند أحد الأصنام العظيمة ويغتسلن بالماء البارد في آخر الليل ، ويرتدين أفخر الثياب ويضعن أفضل العطور ، وفي صباح اليوم التالي يتصدقن ويقمن الولائم والضيافة ، وفي اليوم الأخير التاسع والعشرون من الشهر نفسه يدخل الجميع الماء وينغمسون سبع مرات، وفي عيد سانب يرزاتر في ميدان المولتان يسجد الهنود للشمس وقيل أن رجال الدين البراهمة أكثروا من تلك الأعياد لزيادة الهدايا والضيافات والصدقات المقدمة لهم ((البيروني، 1958، صفحة 490).

والهنود لديهم أيام مقدسة ومن تلك الأيام الأحد يفضلونه لأنه بداية الأسبوع لديهم، وهو معظم لديهم كيوم الجمعة لدى المسلمين ، ومن الأيام المعظمة (أواماس) ويسمونه يوم الاجتماع والإستقبال لنور القمر في الفناء ، ويقوم البراهمة بتقديم قرابين النار للثواب (البيروني، 1958، صفحة 492).

ومن الأيام المقدسة لديهم اليوم الثالث من شهر بيشاك (شباط) ، واليوم التاسع من شهر (كارتك) (آب) ، واليوم الخامس عشر من شهر (ماك) (تشرين الثاني) ، واليوم الثالث عشر من شهر (أشوجج) (تموز) ، ويعتقدون أن الصدقة في أيام بنكال تفوق غيرها من الأيام آلاف السنين (البيروني، 1958، 493)، ولدى الهنود أيام سعيدة مرتبطة بإنتقال الكواكب وعلى الأخص الشمس من برج إلى برج آخر ويسمى هذه الأوقات (سنكرانت) ، أما أوقات الكسوف والخسوف يعتقدون أن مياه الأرض تطهر طهارة ماء نهر كنك ويقومون بإغراق أنفسهم في ماء النهر وخاصة طبقتي (بيش ، وشودر) ، أما برهمن وكشتر فغير مسموح عليهما فعل ذلك (البيروني، 1958، صفحة 494)

أما الأوقات الغير سعيدة والمنحوسة لدى الهنود التي يتشاءمون بها ويمتنعون عن العمل فيها ، أوقات الزلازل ، يقوم الهنود بكسر أواني بيوتهم نفياً للشؤم ، وطرداً للشر ، وقد فسر البيروني سبب تشاؤمهم بسبب تغير طباع الأشياء حيث تخترق الأرض من الصواعق ، وتدخل الحيوانات المفترسة إلى القرى ، وينزل المطر في غير أوانه (البيروني، 1958، صفحة 495), (كبير، 2010، صفحة 100).

الزواج

أشار البيروني أن الزواج عند الهنود يكون في سن صغير ولذلك يعقده الأبوان لأبنائهم ويقيم البراهمة فيه رسوم القرابين والصدقات ويقيمون الأفراح ، ولا يكون بينهما مهر ، بل يدفع الزوج بعض المال المعجل للمرأة دون تحديد لقيمته ، ويكون على حسب القدرة المالية للزوج ، ويمنع الزوج من إسترداد شيء منه إلا ما كان عن طيب خاطر الزوجة ولا يفرق بين الزوجين إلا الموت ولا طلاق لهم (البيروني، 1958، صفحة 469)، كما أشار البيروني أن للزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع وما فوق الأربع محرم عليه إلا أن تموت إحدى زوجاته ، ولكن الزوجة إذا مات زوجها فليس لها أن تتزوج ، وعليها أن تختار بين أمرين إما أن تبقى أرملة إلى بقية حياتها وإما أن تحرق نفسها ، ومن الهنود من يرى أن عدد الزوجات حسب الطبقة فيحق للبراهمة الزواج بأربع والكتشر بثلاث والبيش بإثنين والشودر بواحدة (البيروني، 1958، صفحة 470).

وللهنود قانون في النكاح حيث يفضلون تغريب النكاح وكلما كان أبعد كان أفضل ويحرم نكاح ابنه الأولاد أو ابنه أولاد الأولاد أو الأم أو الجدة كما يشمل التحريم الأخت وبنت الأخت والعمة والخالة وبناتهما إلا إذا تباعد النسل لما يزيد عن خمسة بطون متوالية عندها يزول التحريم مع بقاء الكراهة (البيروني، 1958، صفحة 470), (الرحمن، 2014، صفحة 170)

وأكد البيروني أنه يجوز لكل واحد من أهل الطبقات أن يتزوج في طبقته وفيما دونها ولا يحل له أن يتزوج من طبقة فوق طبقته ، ويكون الولد منسوباً إلى طبقة الأم دون الأب ، فإن كانت امرأة البرهمن مثلاً برهمناً كان الولد كذلك وإن كانت شودريه كان شودراً ، ولكنه أشار إلى أن البراهمة في زمنه لا يتزوجون في غير طبقتهم (البيروني، 1958، صفحة 470).

وكان البراهمة يقدمن القرابين للنار طلباً للولد إذا جامعوا زوجاتهم ، كما يقدمون قرباناً آخر بعد الشهر الرابع للحمل ، وآخر بعد الولادة وقبل الإرضاع ، وقربان آخر بعد انقضاء أيام النفاس وعند تسمية الولد ، ولا تتم التسمية إلا بعد طهر المرأة من النفاس، وما دامت المرأة في النفاس لا يؤكل في دراها ولا تقترب من الأنية ولا يوقد ناراً في بيتها ، وتختلف عدد أيام النفاس من طبقة لأخرى للبراهمة ثمانية ، ولكشتر أثنى عشر ، وللبيش خمسة عشر ولشودر ثلاثين ومن دونهم فغير معدود له في الرسوم حد محدود (البيروني، 1958، صفحة 471).

وتناول البيروني الرضاعه وبين أنها قد تصل إلى ثلاث سنوات وعند تمام السنة الثالثة يذبحون عقيقة للطفل ، ويثقبون أذنه في السابعة أو الثامنة من عمره (البيروني، 1958، صفحة 471).

وأشار المسعودي إلى وضع المرأة الهندية ، فذكر أن نساء مملكة الطافن اللواتي يعرفن بالطافنيات يعرفن بجمالهن وشده فتنتهن ، فيتنافسن أهل البحر على شرائهن (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 162/1).

أما عن نساء الملوك فقال البيروني أن العادة عندهن الإحراق شئنا أم أبين وذلك لحمايتهم من الوقوع في الفاحشة ، وقد يستثنى من ذلك النساء العجائز ، وذوات الأولاد إذا تكفل الابن بصيانة الأم وحفظها (البيروني، 1958، صفحة 470).

وذكرت بعض المصادر إباحة الزنا في بلاد الهند ، فذكر المسعودي أن الرجل في جزيرة سرنديب يراود المرأة عن نفسها بعلم أهلها ، ويأتي تجار البحر إلى سرنديب وقد يدعو الواحد منهم ابنه الملك فتأتية بعلم أبيها ، لذا يمنع أهالي سيراف شبابهم من الذهاب إلى

تلك الجزيرة لخوفهم من الوقوع في الفاحشة، ولكن مملكة قمار لم تكن الزنا مباحة لديهم بل حرم الزنا والخمر فيها وعاقب فاعليها بالقتل ((رستة، 1891، صفحة 127)، (خرداذبه، 1889، الصفحات 161-166)، ((المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1)، وذكر البيروني أن الزنا للمحصن في الهند لم يكن مباحاً في الناحية القانونية لديهم فإن العقوبة عليه مخففة ، والسبب في انتشارهم الملوك الذين رأوا فيه مجالاً لزيادة اقتصاد بلادهم من خلال الضرائب التي تدفعها الزانيات للدولة من جهة ، وحماية الرعية من العذاب من جهة أخرى (البيروني، 1958، الصفحات 470-471).

التسلية والترفيه

أشار المسعودي إلى مصادر التسلية والترفيه لدى الهنود فهم يحبون الاستماع إلى الغناء وعندهم آلات موسيقية يطربون بها ، وهي متنوعة منها ما هو للفرح والضحك ومنها ما هو للحزن والبكاء، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، الصفحات 194/1-195)، ويطربون الأغاني للجواري يرقصن عليها، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1)، وكان أهل التبت أكثر الهنود انشغالاً بالرقص وهذه هي الطبيعة التي فطرهم الله عليها حيث أن فيهم رقة وبشاشة دائمة ، ولا يعرفون الحزن حتى في حالة وفاة عزيز عليهم ، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، الصفحات 152-153)، ومن وسائل التسلية عندهم النرد فكانوا يعتقدون أن لعبهم النرد يجلب لهم السعادة وأن الرزق يأتي للإنسان عن طريق الحظ، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 83/1)، وكان أهل سرنديب يكثرون من لعب القمار بالنرد، (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 63)، وقيل أن الفقراء منهم قد يقامرون على أصابعهم حيث يقوم الغالب بقطع إصبع المغلوب وقد لا يغادر المغامرون مجلسهما إلا وقد قطعت أصابعهما جميعاً، (السيرافي، 1999، صفحة 82)، ثم ظهرت لعبة الشطرنج عند اختفاء لعبة النرد وتتكون من صور وأشكال بشرية وحيوانية (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 63/1)، وهي بخلاف النرد تقوم على الحزم والعقل والحيلة فليس للحظ فيها مكان ، وقد وضع في لعبة الشطرنج كتاباً من قبل الملك بهيث عُرف باسم طرق جنكا كان كتاباً لتعليم الشطرنج وحيلها وحسابها، (اليعقوبي، 1883، الصفحات 80-81)، وكان الهدف الأساسي من لعبة الشطرنج هو معرفة الإنسان المخلص والمجتهد من الإنسان الكسول والعاجز (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 64) ، وأن الحرب هي أفضل وسيلة للتميز بينهما ، فمن خاض الحرب دون الأخذ بالأسباب خسرها وهلك (اليعقوبي، 1883، الصفحات 80-81)، (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2005، صفحة 83/1)، وكان الهنود يقامرون على ثيابهم وجواهرهم في القمار على لعبة الشطرنج كما هو الحال في القمار بالنرد (المسعودي، أخبار الزمان، د.ت، صفحة 64), (المرزوري، 1942، صفحة 300).

وأعتنى الهنود بالنواحي الروحية ، وبقهر القوى الجسدية ، وتعلقوا بالعلوم الروحية كالسحر والاحتيالات والمهارات اليدوية ، فكان السحر وسيلة للتسلية والترفيه عندهم ، وعرف البيروني السحر لديهم هو إظهار شيء للإحساس أنه خلاف حقيقته من باب التمويه، ولم يكن يعتد به من ضمن العلوم ، وكان الهنود يتعاطونه من باب التسلية والترفيه ، وظناً منهم أنه يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الأذى (البيروني، 1958، صفحة 148).

الخاتمة

تُلقى هذه الدراسة الضوء عن مساهمة الرحالة والجغرافيين المسلمين في كتابة جزء هام من الحياة الاجتماعية في بلاد خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين ، وقد استخلصنا من دراستنا هذه جملة من النتائج التي يمكن حصرها فما يلي :-

- ساهم كلا من الرحالة والجغرافي في توسيع مداركنا حول المجتمع الهندي بفضل ما وردوه من معلومات عن طريق اتصالهما بالمجتمع الهندي والتعرف على عاداته وتقاليده.
- استطاع الرحالة والجغرافيون المسلمون خلال القرنين الثالث والخامس الهجريين " المسعودي، المقدسي، البيروني، وآخرون"، في طرح معارفهم العلمية بأسلوب أدبي شيق في ذكر المجتمع الهندي، ووصف الأجناس البشرية ومميزاتها ومعتقداتها الدينية.

التوصيات

-الحث على الإهتمام بكتب الرحالة والجغرافيين باعتبارهما مصدراً من أهم المصادر العلمية في عملية التدوين الجغرافي والتاريخي بالنسبة للمؤرخين والباحثين في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. (د.ت). *المسالك والممالك*. القاهرة: الهيئة العامة لقضور الثقافة.

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني. (1958). *تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة*. الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ابن خرداذبه. (1889). *كتاب المسالك والممالك*. بيروت: دار صاد أفسدت ليدن.

أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي. (1999). *رحلة السيرافي*. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. (2005). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. صيدا- بيروت: المكتبة العصرية.

أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. (د.ت). *أخبار الزمان*. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الإدريسي. (2002). *نزهة المشتاق*. مكتبة الثقافة الدينية.

أبي علي أحمد بن عمر ابن رستة. (1891). *كتاب الأغلاق النفيسة*. ليدن المحروسة: طبع في مطبعة بريل.

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. (1883). *تاريخ*. ليدن المحروسة: طبع في مطبعة بريل.

أحمد محمود الساداتي. (د.ت). *تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم*. القاهرة: مكتبة الآداب.

أيمن فؤاد السيد. (1992). العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس. *مجلة المؤرخ المصري- القاهرة*، ع 8.

ديورانت ول وايرل. (1998). *قصة الحضارة الهند وجيرانها الشرق الأقصى*. بيروت: دار الجيل.

سليمان التاجر.(1992). سلسلة التواريخ ضمن الأخبار رحلات العرب والفرس إلى الهند والصين في الجغرافية الإسلامية. فرنكفورت: منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية.

شرف الزمان الطاهر المرزوري. (1942). *فصول حول الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان*. لندن: طبعة لندن.

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي. (2003). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

طه باقر. (2011). *مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة*. بغداد: دار الورق للنشر المحدودة.

عبد الله شمت المجيدل.(2019). الهند في أدب الرحالة العرب. اتحاد الكتاب العرب التراث العربي، ع 153.

محمد البغدادي الموصلي ابن حوقل .(1938). صورة الأرض. بيروت: دار صادر أفست ليدن.

محمد نصر عبد الرحمن. (2014). *الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مؤلف مجهول. (1999). *حدود العالم من الشرق إلى الغرب*. بيروت: الدار الثقافية للنشر.

همايون كبير. (2010). *التراث الهندي من العصر الأري إلى العصر الحديث*. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.